أسلوب المناظرة الأدبية في الأندلس ، بين الإقناع و الإمتاع

د/ آمنة بن منصور
المركز الجامعي ، عين تموشنت (الجزائر)

Abstract :

Literary corresponding different from other debates in that it seeks to prove the merit and maturity and leadership, also aims to gain fame and admiration and praise, and for this they are moving away from defamation and mug style, and literary debate has been characterized in Andalusia Moreover being collected the power of argument and splendor method marking the most fascinating pages in a literary controversy record.

key words : Debate, literary, of Andalusia, method, persuasion

résumé:

Littéraire correspondant différent des autres débats en ce qu'il cherche à prouver le bien-fondé et de la maturité et de leadership, vise également à gagner la célébrité et de l'admiration et de louange, et pour cela ils se déplacent loin de la diffamation et de style de tasse, et le débat littéraire a été caractérisé en Andalousie étant plus collectées la puissance de l'argumentation et de la splendeur méthode de marquage des pages les plus fascinantes dans un enregistrement de la controverse littéraire.

Mots-clés: Débat, littéraire, de l'Andalousie, de la méthode, de la persuasion

الملخص:

تختلف المناظرة الأدبية عن غيرها من المناظرات في أنها تسعى إلى إثبات الجدارة و الاستحقاق و الريادة ، كما تهدف إلى اكتساب المجد و الإعجاب و الثناء ، و لهذا فهي تبتعد عن أسلوب التجريح و القدح ، و قد تميزت المناظرة الأدبية في الأندلس زيادة على ذلك بكونها جمعت بين قوة الحجة و روعة الأسلوب مسجلة بذلك أروع الصفحات في سجل الجدال الأدبي.

الكلمات المفتاحية : المناظرة ، الأدبية ، الأندلس ، الأسلوب ، الإقناع

تمهيد :

تختلف المناظرات الأدبية عن غيرها من المناظرات بتميزها بالهدوء غالبا ،و باتسامها بروح المنافسة و الرغبة في إظهار التفوق بعيدا عن القدح و التجريح .

و قد بدا واضحا رغبة الأندلسي في إظهار تفوقه على نظرائه في المشرق خاصة* ، إلى جانب إبراز مكانته الأدبية و تمكنه من اللغة و أساليبها و أسرارها ، و نحسبه وفق في ذلك ، فالقارئ يشعر و هو يطالع تلك المناظرات بمتعة مردها براعة الأندلسي و تفننه في انتقاء الألفاظ و العبارات ، و اختيار الصور و المحسنات ..و إلى جانب ذلك يشعر بأنه في حلقة علمية يديرها سيبويه أو ابن جني ، فيطلع على خبايا النحو و يتعلمها بطريقة فنية رائعة ،كما قد يشعر أيضا بالفكاهة و الطرافة في بعض المواقف كما سوف نرى .

هذا ، و قد اتخذت المناظرات الأدبية الأندلسية عدة أشكال ، أو لنقل ارتدت عدة أثواب من المعارضة إلى المناظرة فالردود ...

المعارضات :

إذا كان الأندلسي بدأ طريقه الأدبي مقلدا و محاكيا نظيره المشرقي ، فإن الأمر اختلف حين اكتشف أندلسيته ، فقد " راح الكتاب الباحثون عن صيغ فنية جديدة يرتادون آفاق المعارضة تحدوهم رغبة صادقة في إقامة الحجة على أن مِن بين الأندلسيين من يوضع مع أعلام المشارقة في كفتي ميزان"[1].

والمعارضة في الشعر أن ينظم شاعر ما قصيدة فيأتي شاعر آخر قد أعجب بجانبها الفني و صياغتها الممتازة ، فينظم قصيدة أخرى من بحر الأولى و قافيتها و موضوعها ، و يحرص على أن يضاهي القصيدة المعارضَة أو يتفوق عليها ، دون أن يكون فخره صريحا[2] ، فهي تحمل في معناها " المماثلة التي ترتكز على غريزة المحاكاة و المقابلة التي تجسد غريزة المنافسة التي فطر الإنسان عليها "[3] ، و هي لا تقتصر على الشعر فحسب بل نجدها في النثر كذلك ، فقد عارض ابن عبد الغفور الكلاعي أبا العلاء المعري في أربعة كتب ، و عارض أبو المغيرة ابن حزم بديع الزمان الهمذاني ، على أن الأندلسيين عارضوا بصفة أكثر كبار الشعراء المشارقة .

معارضة ابن شهيد للبحتري :

يقول البحتري :

ما على الرّكْب مِن وُقوف الرّكاب * في مَغاني الصّبا و رسْمِ التّصَابي**
.. عيّرتْني المشيب و هي بدَته * في عذاري بالصّدّ و الاجتناب**
لا تَريه عارًا فما هُو بالشيْب * و لكنّه جَلاء الشباب**
و بياضُ البازي أصْدق حُسْنا * إن تأمّلت مِن سَواد الغُراب**[4]

أما ابن شهيد فقال :

هذه دار زُينب و الرباب * ....(**)**
قد ترَكْنا الصّبا لكلِّ غَوِيّ * و انسَلَخنا مِن كلّ ذام و عَاب**
و انقطعْنا لوَاعِظات مَشِيب * آذنتْنا حَياتها بذهَاب**
و إذا مَا الصّبا تحمل عَنا * فقبيحٌ بنا ارْتضاءُ التّصابي**[5]

لقد عدّ ابن شهيد " الميل إلى لهو الصبا بعد أن اشتعل الرأس شيبا غواية يجب الابتعاد عنها ، بيد أن المطلع على حياة الرجل يجد تناقضا بينها و بين ما ذهب إليه ، و لعل التبرير الوحيد هو أن ابن شهيد يريد إثبات الجدارة عن طريق مخالفة فكرة البحتري لا أكثر "[6] ، و نحسبه وفق في ذلك .

معارضة ابن زيدون للمتنبي :

يقول المتنبي :

بمَ التّعلّل ُلا أهلٌ و لا وطنٌ * و لا نديمٌ و لا كأسٌ و لا سَكن**
..فما يدومُ سُرور مذ سُرِرتُ به * و لا يرد ّعلَيك الفائتُ الحزن**
.. يا مَن نعِيت عَلى بُعد بمجْلِسه * كلّ بما زعَم الناعُون مُرتهَن**[7]

و يقول ابن زيدون معارضا :

هلْ تذكُرونَ غَريبًا عادَه الشّجَن * مِن ذكْركُم و جَفا أجْفانهُ الوسَن**
يا ويْلتاهُ أيبْقى في جَوانحِه * فُؤاده ُو هُو بالأطلالِ مُرتهَن**
و أرّق العَين – و الظلمَاء عاكِفة * ورْقاء قدْ شفّها – إذ شَفّني – حَزن**
بمَ التّعلّل لا أهْل و لا وطنٌ * و لا نديمٌ و لا كأسٌ و لا سَكن**[8]

فابن زيدون عارض المتنبي في هذه القصيدة معارضة حسنة حتى إننا لا نكاد نميز أيهما أجود ، و الملفت للنظر أن ابن زيـــــدون جعل من بيت المتنبي الأول خاتمة لقصيدته ، و كأنه يريـــــد أن يشير إلى إمكانية قراءتها عكسيا ؛ أي من الأسفل إلى الأعلى دون أن يختل المعنى أو يتبدل .

كما أن المتنبي الذي شغل الدنيا بشعره عارضه ابن زيدون ليثبت بأنه جدير بأن يوضع في صف واحد معـــه ، و في المقابل هناك من حاول معارضتـــه ولكنه فشل ، فقد ذكـــر صاحب الذخيرة قصة أبي عبد الله بن شـــرف الـــذي أراد أن يعارض المتنبي في مجلس المأمـــون بن ذي النون بعد أن رأى القوم أثنوا عليه ،فمكث زمنا يحاول و لم يأت بشيء [9].

هذا ، و قد تنافس ملوك الطوائف في جمع الشعراء و الأدباء من حولـــهم ، حتى يطيـــروا بـــذكرهم و يخلـــدوا آثـــارهم ، و لم يكن هدفهم ضمان الريادة على الصعيد الأندلســـــي فحسب بل راموا التفوق على ملوك المشرق أيضا ، فكثيرا ما كانت " تنطوي المعارضة على بعد سياسي لاسيما حين يكلف أمير أو حاكم أندلسي شاعرا بمعارضة شاعر مشرقـــي ، فإنه إن نســـب لشاعره التفوق على الشاعر المشرقي ،يكـــون قد عزز ملكه بشاعر متميز يفـــوق شـــعراء ملوك المشرق "[10***].

فقد أنشد بحضرة أحد ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق و هي :

و ماذا عليْهم لو أجابوُا فسلّموا ** و قد عَلِمُوا أني المشوّق المتيّم

سَروا و نجومُ الليْل زهرٌ طوالع ** على أنّهُمُ بالليْل للنّاسِ أنجـــم

و أخْفَوا على تِلك المطايا مَسِيرَهُم ** فنمّ عَليه في الظلامِ التبسّم

فأفرط بعض الحاضرين في استحسانها ، و قـــــال : هذا ما لا يقدر أندلسي على مثله ، و بالحضـــرة أبـــوبكر يحي بن هذيل فقال بديها :

عَرفتُ بعرفِ الرّيح أيْن تَيَمّمُوا ** و أينَ استْقلّ الظاعِنُون و خَيّمـــوا

خلِيلِي رّدّاني إلى جَانبِ الحِمَى ** فلسْت إلى غيْر الحِمى أتيَمّــــم

.. نظرتُ إلى أجْفانهِ و إلى الهَوى ** فأيقنتُ أني لسْتُ منهُنّ أسْلـــم[11]

و لعل هذه القطعة الارتجالية ضاهت الشعر المذكور سلفا،بل وربما فاقته من حيث جودة الصياغة و دقة التشبيه و لطف المعنى .

لقد عكســـت المعارضة رغبة الأندلسي في إثبات التفوق أمام نظيـــره المشرقي[****] ، و لئن كانـــت المنـــاظرة تبتعد بشروطها عن المعارضة إلا أنهـــا أحيانا تقترب منها حين يتوفـــر شرط إفحام الآخر و إثبـــات التفوق عليـــه ، و إذا كانت الحجج مطلوبة في المناظرة فإنهـــا لا تكون كذلك في المعارضة لأن حجج الشاعـــر تكمن في قدرتـــه علـــى صياغة الأسلوب ، و استحضار المعاني ، و الإبحار في الخيال لإقناع المتلقي بجودة شعره .

و لم يكتف الأندلسيون بمعارضة المشارقة بل راموا أبعد من ذلك ، فقد كان هدفهم التالي إثبات التفوق علـــيهم ليس في الشعر فحسب بل في ضروب الأدب كله، فابن حزم مثلا يضاهي بشعراء الأندلس فحول شـــعراء المشـــرق ، فيقـــول :" لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي ، فكيف و لنـــا معـــه جعفر بن عثمان الحاجب ، و أحمد بن عبد الملك بن مروان ، و أغلب بن شعيب ، و محمد بن شخيص ، و أحمد بـــن فرج ، و عبـــد الملك بن سعيد المرادي ، و كل هؤلاء فحل يهاب جانبه ، و حصان ممسوح الغره"[12] ، والأندلســـيون أيضا أهل بلاغة ، يقول " و لنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، و له من التصرف فـــي وجـــوه البلاغـــة و

شُعبها مقدار ينطق فيه لسان مركب من لساني عمرو و سهل "[13] ، فشأو ابن شهيد في البلاغة شأو كبير ، و هو إلى جانب هذا ناقد مفوه يرى الأندلسيين أصحاب فضل و سبق في الشعر ،

فقد وصف أبا المخشي فقال : " و أما أبو المخشي فإنه قديم الحوك و الصنعة ، عربي الدار و النشأة ، و إنما تردد بالأندلس غريبا طارئا ، و هو من فحول الشعراء القدماء و المتقدمين "[14] ، و كذلك فعل الشيء نفسه ابن بسام في ذخيرته ، ففضل أدباء عدوة الأندلس إلى حد المبالغة أحيانا ، و كأنه لم ينقم عليهم ذات مرة تقليدهم الأعمى لكل ما هو مشرقي، و لكن يبدو أن نداء الوطن أقوى من أي نداء .

مناظرة حول الترجيح بين البديع (398هـ) و الصابي (384هـ) :

لقي بديع الزمان الهمذاني و الصابي عناية في المشرق و كذلك في الأندلس ، فقد قام كل من أبي محمد القاسم صاحب بونت و أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت 540هـ) للسجال حول أيهما يستحق الريادة في الأدب ، فقال صاحب بونت :" البديع و الصابي فرسا رهان جريا منه إلى مدى فأدركاه .. هذا يبلغ شأوه عفوا و ذلك يجهد إليه عدوا .. فالبديع إذا رفع أبدع و الصابي إذا صاب أصاب "[15] ، فأبو محمد القاسم كما نرى بدأ حديثه بالاعتراف بفضل كل من الأديبين ، ثم رجح كفة البديع لأنه يبلغ مراده بسهولة ، على حين لا يدرك الصابي غايته إلا بعد جهد ، و يضيف قائلا : "غير أن البديع أعرق نزعا و أفصح ، و الصابي أوسع بابا في ميدان الإسهاب و أفسح ، لا جرم أنهما فارسا الحلبة بالإجماع ، و إماما القوم في حسن الاختراع "[16] .

أما ابن أبي الخصال فرد عليه قائلا : " وقفت لك منذ أيام على نفثات غر ، و كلام بين البديع و الصابي حر .. تناوله خاطرك من علو .. لكنك والله جرعت الصابي منه صابا ، و ملأت صدور شيعه أوصابا ..

"ينظرُونَ من طرفٍ خَفِي "[17] ، لا يستقل لهم لواء و " لا يرْتدّ إليْهِم طرْفهم و أفئِدتهُم هَـوَاء"[18-19]،فابن أبي الخصال ينتقد صاحب بونت انتقادا شديدا لأنه فضل البديع على الصابي ، و المقارنة أصلا لا تجوز لانعدام الكفاءة بينهما ،إذ يقول :"فالموازنة كالمباراة إنما تكون بالوفاء و مقارعة الأكفاء بالأكفاء و لذلك أبت قريش إلا أقتالها "[20] ، و يضيف قائلا: " و أبو الفضل و إن كان كما سمي بديعا .. لا يقاس بأبي إسحاق رأسا ، و لا يجعل له سلما و لا بأسا ..و أبو إسحاق معين القول ، مقدم على الهول .. إن غضب حسبت الناس غضابا .. و إن رضي عاد المشيب شبابا ، و فتحت السماء أبوابا "[21] ، وابن أبي الخصال يتحيز تحيزا واضحا للصابي و كما نرى فهو يثني على الصفات الخارجية أكثر من ثنائه على كتاباته ، حتى ليخيل إلينا الصابي فارسا لا كاتبا ، و يضيف قائلا :" و أنا لا أعدل الهزل بالفصل و لا الخيزرانة بالنصل ، و لا أرغب عن الهدى و لا أضع السيف موضع الندى"[22] ، " و في هذا هجوم على طريقة البديع و تلاعبه بالألفاظ و موضوعاته التي طرقها مما سماه أبو عبد الله تشخيص الأوهام المستحيلة و الأخاليق "[23] ،هذا و قد أشار ابن أبي الخصال إلى نقطة فاصلة في تاريخ الأدب الأندلسي "[24]، و هي تلك التي تتعلق بتقليد المشارقة و ترسم خطاهم .. قال : و هل نفس التكلف إلا ما دفع البديع إليه ، تبعناه معشر الضعفاء عليه حين عدلنا عن المنهج و دخلنا تحت الحرج "[25] .

الواقع أن هذا النوع من المناظرات مما يكون موضوعه ترجيح كفة شخص على آخر، يفتقر – في الغالب – إلى الموضوعية ،إذ لا يمكن بأي حال أن نفصل الميولات الشخصية ، و الأحكام المسبقة ، للمتناظرين عن الآراء التي يبديانها حول المتناظر حولهما ، أو موضوع الجدال نفسه .

مناظرة بين النثر و الشعر للسرقسطي :

لقد أجرى السرقسطي مناظرة فاضل فيها بين النثر و الشعر في شكل حوار دار بين ولدي السدوسي حبيب و غريب***** ، أما حبيب ففضل الشعر قائلا :" ألم تر أن الشعر أصعب مرتقى ، و أغرب منتقى ، و أبرع لفظا ، و أسرع حفظا ، و أوسع مجازا ، و أنصع إيجازا .. و هل سمعت بنثر تخلع عليه اللحون ، أو

تراق عليـــه الأعساس و الصحون ، فتنشق دونه الجيوب و تبرز من ضمائر الغيـــــوب .. أما النثر فعنان يرســـل ، و بـــيان ينســـل .. و حوض مورود و ثوب مهرود ، و حمى مستباح "[26] ، فللشعر فضل على النثر عند حبيـــب مـــن جانب أنه صعب المرتقى لا يتيسر لأي كـــان ، و في الوقت نفســـه هو سهـــل الحفظ ، فهو إذن يجمـــع بين السهولة و الصعوبة في آن واحد ، بينما النثـــر حمى مستباح يقصده جميع الناس لسهولته ، و هو كلام طويل لا إيجاز فيه و لا جمال ، أما غريـــب فله رأي آخر ،فالنثر " أطوع عنانا و أنفذ سنانا ، به تملك الممالك و تسلك المســـــالك ، و تخـــدم الرياسة و تقام السياسة ، و تصان الأحوال و تحفظ الأمـــوال ..به تتحلى الرسائل و تنتحل الوسائل فيـــنجح الطالـــب و السائل .. و لو كـــــان بالنظم شرف يكتسب أو فخار يحتسب لما رفع عنه شريف قدره ، و حمــــــى لسان الشـــريف عن ذكره "[27] ، فغريب يرى أن الصعوبة ليست مقياسا للجودة ، و على العكس من ذلك فإن النثر أسهل و أيسر و لذلك يقصده الناس ، كما أن الدولة لا تقام إلا به إذ هو عمادها ، ليس كالشـــعر الذي لو كان فيه خير لما ترفـــع عنـــه ذوو النفوس الكبيـــرة .

و طال الجـــدال دون أن يقتنع واحد بكلام صاحبه حتى تدخـــل السدوسي قائلا: " فلا تفضلا قائلا على قائل إلا بفضل فاضل و طول طائل .. و خذا في كل الأحوال بالأعدل الأقسط و ميلا إلى الأسهل و الأبسط "[28] ، و السدوســـي لم يفصل في الأمر إذ لا ناقـــة له في هذه المعركة و لا جمل ، بل راح يشكو قلة ذات يد الأدباء " فقـــال -و الخطـــاب لبنيه- : تشاغلتما بالآداب و المعارف و غفلتما عن الأحداث و الصوارف ، و أنـــــا دونكما أرامي و أناضل و أزاحـــم الأيام و أعاضل ، و هذا العلم قد أضاعته الضوائع و ذعرت سربه الروائـــع ، فجادله الحاضرون و أدرك من حديثه ما أراد "[29] .

و يبدو أن صاحب المقامة أثار هذا الصراع التقليدي بين الشعر و النثر ،لغاية مـــحددة***** هي الشـــكوى مـــن حال الأديب الذي كسدت بضاعته .

رد الكاتب أبي الأصبغ ابن أرقم على ابن سيدة (ت 458هـ) :

كتب أبو الأصبغ بأمر من إقبال الدولة رسالـــة إلى مصر فانتقده ابن سيدة مصححا عليه بعض الأمور، و مـــن جملـــة ذلك : أن ابن الأرقم كتب "الحمد لله تيمنا بحمده ، وتحديا لحده ، الهادي من ارتضـــاه سبل رضاه ، الـــــحادي من انتقاه إلى علم تقاه ..فأنكر[ابن سيدة] تحديا ووضع مكانه تصديـــا "[30] .

فكان رد ابن الأرقم كالآتي " يكفي في هذا قول بشار في سيبويـــه :

أسيبَويه يا ابنَ الفارسيّة ما الذي ** تحدّيتَ من شتْمِي و ما كُنت تَنبذ[31]

و قال صاحب العين : حدا بمعنى تبع فإذا بنيت منه تفعّلت قلت تتبـــعت "،وابن الأرقم أتى بالشواهد التي تؤيـــد صحة قوله ، ذلك أن التحدي هنا بمعنى التتبع و ليس المنافسة كما ظن ابن سيدة الذي أنكر عليه أيضا قولـــــــــــــه :

الحادي إذ " ليس من صفات الله و لا يجوز أن يوصف إلا بما وصف بـــه نفسه تعالى،أو بما وصفه رســـوله و بدّل الحادي بالمرشد [فرد أبو الأصبغ]ما أعظم هذا السهو ، و ما أضيق هذا الشأو ، و ما أقبح هذا البهت ، و مـــا أخشن هذا النحت .. و ماذا على من قال الحـــــمد لله منقذنا .. و سائقنا لما يحب و يرضى .. و ليس شيء من هذا في القـــــرآن ، و لا في حديثه عليه السلام ، و اسم الفاعل العامل في ما بعده كالفعل يجري مجراه ، و ينحو منحاه و أفعالنا كلها لله تعالى .. قال أبـــــــــو بكر الباقلاني : يوصف الله تعالى بما لا يقع إجمـــاع المســـلمين على منعه .. و قـــال أبو عبد الله محمد بن عمر المرزبان : الحمد لله الهادي حمده برحمته ، و المـــــوجب من بره برأفته ،

و الموجب ليس من صفات الله في القرآن و لكنه أجراه مجرى الفعـــــــــل كما فعلنا نحن .. قــال أصـــحاب اللغة : الحادي بمعنى السائــق .. و المرشد ليس في القرآن فأتوا بما أنكروه ، و أثبتوا ما ردوه "[32] .

و استمر ابن الأرقم في الرد على ابن سيدة مستشهدا بالقرآن و الحديــث و أشــعار العرب و مأثورها ، مشيرا في كل مرة إلى جهل منتقده و عدم إلمامه باللغة .

رد ابن السيد البطليوسي على أبي بكر بن العربي :

ألف البطليوسي شرحا لشعر المعري ، إلا أن أبا بكر انتقده انتــقادا لاذعا أظهــر فيــه عــدم تمكــن صــاحب الشــروح ، و جهّله لبعض الأمور اللغوية و النحوية ، فرد عليه البطليوسي فقــال:" وجدناك – أعزك الله – لما انتهيت إلى قول المعري :

أراني في الثلاثة من شجُوني ** فلا تسأل عن الخبر النبيــث

لفقدي ناظري و لزوم بيتي ** و كون النفس في الجسد الخبيث

كتبت منكرا لروايتنا ، متوهما التصحيف علينا الذي قرأته شجوني بالشيــن المعجمة ، فأي مدخل ههنا للشجون أبقاك الله ؟ و هل هذا إلا من التصحيف الطريف ؟ إنما وصف المعري أنه مسجون في ثلاثة سجون .. فجعــل جســمه سجنا لنفسه، وبيته سجنا لشخصه ، و عماه سجنا لبصره "[33].

و البطليوسي يتعجب من موقف ابن العربي و كيف سولت له نفسه أن يتهمه بعدم العلم ، فلم ينتبه إلى أن الأمر لا يعدو أن يكون تصحيفا ،و في مسألــة أخرى انتقده على قوله السماوة بدل السماءة ، يقول صاحب الشروح " لمــــا انتهى بك النظر إلى قوله :

فذكّرنِي بدْر السّماوَة بادنا **شَفا لاحَ من بدْر السّماوة بال

أنكرت السماوة الثانية ، و كتبت السماءة بالهمزة فلم أنكرتها علينا ؟ أحسبت أنــها لا تقال أم حسبت أنها أليــق بالبيت ؟ و كلا الأمرين لنا فيــــه الظهور عليك لأن أهل اللغــــة حكوا أنه يقال سماء و سماءة ، و سماوة و سماة .. و أما عن طريق الترجيح فإن السماوة أحسن الوجهين : أحدهما أنه أفصح اللغتين لأنها أكثر استعمالا .. و يدل على ذلك أنهم قالوا في الجمع سماوات .. و لا يكادون يقولون سماءات ، و الوجه الثاني أنها أليق بالبيت لما تقدم في صدره من ذكر السماوة الأخــرى ، فأفسدت على الرجل التجنيس الذي جرى إليه .. فما هذا الخلاف و العناد و أين النظـــر الحسن و الانتقاد ؟ "[34] ، و هكذا مضى البطليوسي في الرد على ابن العربي مستشهدا بالقرآن و كلام العرب و شــعر المعري نفسه ، و كانت حججه كما بدت قوية مقنعة ، و بهــذا انتصر لنفسه كما أراد من خلال تســمية رده برســالة الانتصار .

مناظرات نحوية :

اضطلع الأندلسي في فنون الأدب كما اضطلع في اللغة و غريبها ، وكانت له اجتهادات و سجالات في المســائل النحوية على غرار ما كان واقعا في المشرق ،بل إن هناك من علماء اللغة الأندلسيين من تصــدى للــرد علــى نحــاة المشرق و على نظرياتهم و قواعدهم التي استنبطوها بعد بحث و تمحيص ، فابن مضاء الأندلســي(ت 592هــــ) مثلا ألف كتابا سماه " الرد على النحاة " ، و فيه تعرض للمسائل النحوية التي أثارها ابن جنــي و ســيبويه و غيرهمــا منتقدا إياها حينا و مفندا حينا آخر ، و من الأمثلة على ذلك مسألة " تقدير الضمائر في الأفعال " ، فقــد " وضع النحــاة أصلا هو أن الفاعل لا يتقدم على فعله ، فإذا تقدم نحو : زيد قام ، فلا يعربون المتقدم فاعلا ، بل يعدونه مبتــدأ ، و يقدرون في الفعل ضميرا مستترا يكون هو الفاعل ... و تقدير النحاة للفاعل المستتر يدل على أن الفعل عندهم لا يــدل

بلفظه على الفاعل ، إذ لو كان كذلك لما أضمروا فيه فاعلا ..و قد ناقش ابن مضاء دلالة الفعل ، و انتهى إلى أن الفعل يدل بلفظه على فاعل مبهم ..قال : ألا ترى أنك تعرف من الياء التي في " يعلم" أن الفاعل غائب مذكر ؟،و من الألــف في "أعلم" أنه متكلم ... و تعرف من لفظ " علم " أن الفاعل غائب مذكر ، و على هذا فلا ضمير ،لأن الفعل يدل عليــه بلفظه كما يدل على الزمان،فلا حاجة بنا إلى إضمار"[35].

و قد دعا ابن مضاء إلى حذف ثلاثة أمور من النحو و هي : العوامل النحوية ، العلل و التمارين ، مقــدما آراء من تقدمه ثم الحجج التي يراها أصلح و أقرب إلى الصواب في تحد جديد للمشارقة .

و من أمثلة المناظرات النحوية أيضا: استعمالات (ماذا) : أهي للاستفهام أم للتكثير؟ " و في هذا جرت منــاظرة بين الأديب البليغ الحافظ أبي بكر بن جيش و أبي زكريا يحي بن علي (ت 700هــ)، قال الحافظ أبو بكر:

بماذا على كل من الحق أوجبت فاعترض عليه أبو زكريا بما نصه : استعــــمل ماذا في البيت تكثيــــرا و خبرا

و المعروف من كلام استعمالها استفهاما ، فجاوبه بقوله : أمــا استعمالها استفهاما كما قــال فكثيــر .. و أمــا استعمالها في ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج إلى شاهد "[36] ، فالحافظ وافق أبا زكريا في أن ماذا تستعمــل للاستفهام و هــو أمر مفروغ منه ، و لكنــها أيضا تستعمل للخبر بغرض التكثير ، و قــد ساق إليه عــدة شواهـــد كقوله تعالى: " قل انظرُوا مَاذا في السّماواتِ والأرضِ و مَا تُغنِي الآياتُ و النذُر عَن قومٍ لا يؤمِنُون " [37]

و قوله عليه السلام " ماذا أنزل الليلة من الفتن " ، ووقع في الحماسة :

ماذا أجالَ وثيرَة بن سماك ** من دمْع باكية عليه وبَاك

.. و قول المتنبي :

و ماذا بمصر من المضحكات و لكنه ضحك كالبكا "[38]**

سار أبو بكر على طريقة علماء اللغة في الاستشهاد بالقرآن و الحديث و كلام العرب و شــعرها ، وقــد بــدا واضحا تمكنه من الجدال و رد حجج الخصم من خلال إيراد حجج مُسَلم بها و شواهد متفق عليها .

مناظرة ذات طابع فكاهي :

تتخذ بعض القصص الفكاهية القائمة على أساس الرد بالمثل بين الشعراء نوعا من المناظرة الأدبية، إذ يجــد كل واحد من الخصمين نفسه مدفوعا بالرد بمثل أسلوب الأول ، من ذلك ما ورد عن ابن شهيد الذي كتب إلى منافســه عبد الملك بن جهور معرضا به و قد كان يلقب بالحمــــار ، فقال :

أتيناكَ لا عن حاجَة عَرضَت لنا ***إليك و لا قلبٍ إليك مشُوق
و لكننا زُرنا بفضلِ حُلومنا ***حمارا تولى برّنا بعُقــُوق

فراجعه ابن جهور يغض منه بما كان يشيع عن جده الذي كان بيطارا فقال:

حَجبْناك لمّا زرْتنا غيْر تائق* بقلبِ عدوّ في ثيابِ صَديق**
و ما كانَ بيطار الشّام بموضعٍ* يُباشر فيه برّنا بخلِيــق "[39]**

و من المناظرات الفكاهية الساخرة أيضا ما ورد في رسالة التوابع و الزوابع لابــن شـــهيد ، حيــث تصـــدت مجموعة من البغال تساجل أخرى من الحمير بمقطوعات شعرية ، " فتقدمت بغلة شهباء تنشد شـــعرا لأحـــد البغـــال و هـــــــو :

على كل صبّ منْ هواه دليلُ * سَقام على حرّ الجوى و نُحـــول**
و ما زالَ هذا الهَوى داءً مُبرّحا * إذا ما اعتَرى بغْلا فليسَ يزول**
بنفسي التي أمّا مَلاحظ طرْفها * فسحْر و أما خدّها فأسِـــــــيل**
تعبتُ بما حملتُ من ثقل حبّها * وإنّي لبَغْلٌ للثقالِ حَمُـــول**

ثم أنشدت شعرا لدكين الحمار و هو :

ذهبت بهذا الحب منذ هويث * و راثت إرادتي فلست أريــث**
كلِفتُ بإلفي منذ عِشرين حِجة * يحُول هَواها في الحَشا و يَعيث**
.. و ما نلتُ منْها نائلا غيرَ أنني * إذا راثتْ رثتُ حيث تروث**

فقال الحكم للمنشدة : ما هويث ؟ قالت هو هويت بلغة الحمير ، فال والله إن للروث رائحة كريهة و قد كان أنف الناقة أجدر أن يحكم في الشعــــــر ، فقالت فهمت عنك و أشارت أن دكينا مغلوب "[40] .

" و هكذا نرى أن هذا التحكيم الطريف قد انتهى بحكم أطــرف ،يهزأ فيه ابن شـــهيد،بطريقة حاذقـــة غيـــر مباشرة ، بالبغال و الحمير و أنف الناقة جميعا "[41] .

و على العموم فالمناظرة الأدبية لا تبحث عن إقناع الآخر برأي أو مذهب ، كما لا تسعى للدفاع عن عقيـــدة أو فكرة ، و إنما كان أكبر همّ أصحابها إقناع الآخر ، و ربما إجباره أحيانا ، على الاعتـــــــــــراف بالفضـــل و التفوق وإثبات الجدارة ، و رد التهمة خاصة إذا تعلق الأمر فيها بانتقاص القدرات اللغوية و الأدبية ، و قد جاء أسلوبها مشوقا ، يشعر القارئ فيه بمتعة مردها جمال العبارة و قوة الحجة .

الهوامش :

* - دارت المعارك الأدبية في العصر الأموي حول جماعة الشعراء الفحول :جرير و الفرزدق و الأخطل ، و قد حدثت خصومات أدبية جعلت كل جماعة تفضل شاعرا ما بالنظر إلى جودة شعره ، و تواصلت المعارك الأدبية في العصر العباسي حول بشار و أبي نواس ثم أبي تمام و البحتري ثم المتنبي – ينظر : تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن 4هـ: محمد زغلـــول ســـلام : 18-17

1- الحوار الأدبي بين المشرق و الأندلس : أيمن محمد ميدان : 100

2- ينظر : تاريخ النقائض في الشعر العربي : 07

3- الحوار الأدبي : 165

4- الديوان : 08

**- يقول محقق الديوان : جاء المقطع الطللي مبتورا و السبب راجع إلى ضياع شعر كثير من شعر ابن شهيد : الديوان :77

5- الديوان : 85

6- المعارضات في الشعر الأندلسي : 341

7- الديوان : 471-472

8- الديوان : 162

9- ينظر : الذخيرة : 4: 14

10- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة : منجد مصطفى بهجت : 270

***- كثرت معارضات الأندلسيين للمشارقة كمعارضة أبي بكر الأشبوني لأبي فراس الحمداني ، و معارضة ابن دراج لأبي نواس ، و معارضة ابن هانئ للمتنبي ... و غيرها كثير كثير .

11- نفح الطيب : 4 : 136

****- إن الإعجاب الشديد بأبي تمام و المتنبي ولّد اتجاها معاكسا راح ينتقد هؤلاء و يباهي بشعراء الأندلس ، و من ذلك مدح أبي بكر بن عبد الصمد لابن زيدون قائلا : فإن زهّدت طيا في حبيب ** فقد زهّدت في كعب إيادا ، و من ذلك قول ابن خفاجة يطري على شعر أحد أصدقائه : برعت فرعت فمن ذا حبيب ** له الويل أم من أبو الطيب – ينظر : أبو تمام و أبو الطيب في أدب المغاربة : محمد بن شريفة : 75 و ما بعدها .

12-تيارات النقد الأدبي في الأندلس : مصطفى عليان عبد الرحيم : 291

13-نفسه : 291

14-نفسه : 292

15- رسائل و مقامات أندلسية : فوزي عيسى : 196

16- نفسه : 197

17- سورة الشورى : الآية 45

18- سورة ابراهيم : الآية 43

19– رسائل و مقامات أندلسية : 200

20- نفسه : 201

21- نفسه : 202

22- نفسه : 206

23- تاريخ النقد الأدبي : محمد رضوان الداية : 343

24- المصدر السابق : 355

*****- السدوسي هو أحد أبطال مقامات السرقسطي

25- المقامات اللزومية : أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي : 373 و ما بعدها

26- المصدر السابق : 375-376

27- نفسه : 378

28- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : رضوان الداية : 363

******- " كان الشعر يلاقي منذ نشأته أعداء يحملون عليه ، و يقاومون انتشاره ، و يهيبون بالناس إلى نبذ الشعراء .. و تلك أولى المعارك الأدبية التي عرفها التاريخ .. فأفلاطون يخلص في الكتاب العاشر من جمهوريته إلى طرد الشعراء و إغلاق أبوابها دونهم " – معارك أدبية : عبد اللطيف شرارة : 17

29- الذخيرة : 3 : 237

30- المصدر السابق : 3 : 237-238

31- نفسه : 3 : 237-238

32- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : 348-349

33- المرجع السابق : 349-350

34- الرد على النحاة : 29

35- نفح الطيب : 5 : 281

36- سورة يونس ، الآية: 101

37- نفح الطيب : 5 : 282 و ما بعده

38- الفكاهة في الأدب الأندلسي : 191-192

39- التوابع و الزوابع : 148-149
40- السخرية في النثر العربي : منى الصلح : 100
41- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين : فوزي عيسى : 69

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .
أبو تمام و أبو الطيب في أدب المغاربة : محمد ابن شريفة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1986
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة : منجد مصطفى بهجت – مديرية دار الكتب ، جامعة الموصل ، بيـــــروت ، 1984
تاريخ النقائض في الشعر العربي : أحمد الشايب ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1998
تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : محمد رضوان الداية – مؤسســـة الرسالة ، ط2 / 1981
تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري : مـــحـــمـــد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية . دط ، دت
التوابع و الزوابع : ابن شهيد الأندلسي – تح : بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت . دط ، دت
تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري : مصطفـــى عليان عبد الرحيم ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ،
الحوار الأدبي بين المشرق و الأندلس– المتنبي و المعري نموذجيـــــن : أيمن محمد ميدان ، دار الوفاء ،ط1 ،الإسكندريـــــة
ديوان ابن زيدون : تح : علي عبد العظيم ، دار نهضة مصر ، القاهـــــرة ، 1957
ديوان ابن شهيد : محمود علي مكي ،تح : يعقوب زكي ، دار الكتـــاب العربي ، دط ، دت
ديوان البحتري : تح : بدر الدين الحاضري ، دار الشرق العربي ،بيـــــروت 1999
ديوان المتنبي ، دار الجيل ، بيروت . دط ، دت
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ابن بسام الشنتريني – تح : سالـــم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، لبنان
الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي ، تح : محمد إبراهيم البنا،دار الاعتصام ط1 ، 1979
رسائل و مقامات أندلسية : فوزي عيسى ، منشأة المعـــارف . دط ، دت
السخرية في النثر العربي ، من الجاهلية حتى القرن الرابع الهجري : منى الصلح ، منشورات جامعة بيروت الأمريكية 1952
الشعر الأندلسي في عصر المرابطين : فوزي عيسى ، دار الوفاء ، ط1 ، ط1 ، الإسكندرية ، 2007
الفكاهة في الأدب الأندلسي : رياض قزيحة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط1 ، بيروت ، 1998
المعارضات في الشعر الأندلسي : إيمان السيد ، عالم الكتاب الحديث ، ط1 ، الأردن ، 2006
معارك أدبية : عبد اللطيف شرارة ، دار العلم للملايين ،ط1 ،بيروت ، 1984
المقامات اللزومية : أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي ، تح : حسن الوراكلي ،عالم الكتاب الحديث ، ط2، عمان .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري ــ شـــرح و ضبط : مريم قاسم الطويل ، يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، لبنان ، 1995